جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ألي في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين

(٢٤٨) هو الكفر فكان وصف السوء لازما له أي هو في نفسه سيئ وسيئ صاحبه وأما ما دون الكفر فقد يغفر لصاحبه فلا سوء فلما قال واحاطت به خطيئته دل على ان السيئة سائرة دخلت في الخطايا التي احاطت به فلا علم لخروج عنها لا بحسنات أخر ولا بغيرها فان الكفر لا يقابل شيء من الحسنات الا بالتوبة منه بالايمان وأيضا فقد قال بعد هذا للذين احسنوا الحسنى وزيادة الى قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها الى قوله فيها خالدون قال ابن عباس عملوا الشرك وذلك لانهم وصفهم بانهم كسبوا السيئات فقط ولو كانوا مؤمنين لكانت لهم حسنات وسيئات وكذلك لما قال من كسب سيئة ولم يذكر حسنة وهو سبحانه لا يظلم مثقال ذرة دل على انها سيئة لا حسنة وهذا لا يكون الا سيئة الكفر وقال في قوم لوط ومن قبل كانوا يعملون السيئات وكانوا قد قالوا ما سبقهم بها من أحد من العالمين فهذه جهة استحلال الفاحشة ومن جهة الشرك وفي جهة تكذيب الرسل هذا وهذا ولكن الشرك والتكذيب مشترك بينهم وبين غيرهم والذين اختصوا بهذه الفاحشة فلهذا عوقبوا عقوبة تخصهم لم يعاقب غيرهم بمثلها وجعل جنس هذه العقوبة وهو الرجم وطمس الابصار لما راودوا عن ضيفه وأيضا فقد يقال كلاهما جاء بالفاحشة والموبقة والمهلكة والداهية وجاء بالشنعاء ونحو ذلك وهو اسم لما يعظم من الافعال فتكون خارجة عما يعتاد فكذلك لفظ السيئة قد يكون عاما وقد يكون مطلقا فهذه السيئة التي لا تقبل المحو عن صاحبها بل هي مهلكة وموبقة وهذا الكفر والعموم نوعان عموم لجميع الافراد وعموم الكل لاجزائه مثل اذا قيل احسن الى فلان والرجل ونحو ذلك فان الفعل نكرة فيقتضي هذا الفعل معه احسانا وليس المراد فرد من الافراد التي يسمى كل واحد منها احسانا اليه بل المراد افعل معه الاحسان الذي يتناول جميع ما يحتاج اليه مطلقا فاذا كان يتناول المأمور بذلك السيئة تتناول المحظور فيدخل فيه شرك الذي هو رأس السيئات كما يدخل في الاحسان الايمان الذي هو رأس الحسنات كما فسروا بذلك قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن

جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار وقول السلف السيئة الشرك لم يريدوا به ان سائر الذنوب لم يدخل في السيئة بل الشرك داخل فيها ويدخل معه سائر السيئات ولهذا قال واحاطت به خطيئته وفي القراءة الاخرى خطاياه والله سبحانه وتعالى اعلم

(٢٤٩) مسألة فيمن يعتقد ان الخير والشر من الشيطان وان الشر يقع بغير مشيئة الله وان شاء فعل وان شاء ترك فاذا انكر عليه هذا الاعتقاد قال ان الله لا يأمر بالفحشاء وان الله لا يرضى لعباده الكفر وان عقيدة هذا ان الخير من الله والشر من الشيطان فاذا قيل له ان الله خالق كل شيء قال ان الشيطان خالق الشر فعلم ان الله لا يفعل الشر فعلم فانه قال ان في مشيئة فاذا اردت ان افعل الشر فعلته فهل له مشيئة فعالة أم لا

الجواب الحمد لله

اصل هذا الكلام له مقدمتان احداهما ان العبد ان الله يأمر بالايمان والعمل الصالح ويحب الحسنات ويرضاها ويكرم اهلها ويثيبهم ويواليهم ويرضى عنهم ويحبهم ويحبونه وهم حزب الله المفلحون وهم اولياء الله المتقون وعباده الصالحون اهل الجنة وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وهم اهل الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم وان الله ينهى الشيطان عن الكفر والفسوق والعصيان وهو يبغض ذلك ويعاقب اهله ويلعنهم ويغضب عليهم ويعاقبهم ويعاديهم وهم اعداء الله ورسوله وهم اولياء الشياطين وهم الاشقياء اهل النار الذين هم شيعة ونوع فهذا مأبى كافر وفاسق وعاص يسمى كافرا وفاسقا وعاصيا

والمقدمة الثانية ان يعلم العبد ان الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا رب غيره ولا خالق سواه وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله ولا ملجأ منه الا اليه وانه على كل شيء قدير فجميع ما في السموات والارض من الاعيان وصفاتها وحركاتها فهي مخلوقة له مقدرة له مصرفة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته ومشيئته ولا شريك له في شيء من ذلك بل هو سبحانه لا الاله الا هو وحده لا شريك له المالك والحمد وهو على كل شيء قدير فالعبد فقير الى الله في كل شيء محتاج اليه في كل شيء لا يستغني عن الله طرفة عين فمن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فاذا ثبتت هاتان المقدمتان فنقول

اللهم انك سألت الهداية وبسعتنا على طاعتك اعانة وهداية وكان ذلك سببا لسعادتك في الدنيا والاخرة واذا اخذ العبد فلم يعبد الله ولم يستعن به ولم يتوكل عليه وكل الى حوله وقوته فوكله الشيطان وصده عن السبيل وشقي

Cambridge University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)